السلطة والولاية في ثلاث شرائع سماوية

م.د محمد علي قاسم السعدي

وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد/ الرصافة الاولى

Albahadli74@gmail.com

السلطة والولاية في ثلاث شرائع سماوية

م.د محمد علي قاسم السعدي

وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد/ الرصافة الاولى

Albahadli74@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث مفهومَي السلطة والولاية من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي، ومن خلال المصادر الدينية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ويتتبع العلاقة بينهما في الفكر الإسلامي. ثم يُسلّط الضوء على تطبيقات السلطة والولاية في العمل والإدارة، كما يستعرض كيف ورد هذان المفهومان في الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية، النصرانية، الإسلام). ويُختتم البحث ببيان أهمية الولاية وأهدافها في بناء المجتمع العادل وتثبيت مبادئ القيادة الرشيدة.

وقد خلص البحث إلى أن السلطة لا تكتسب مشروعيتها إلا من خلال ولاية شرعية قائمة على القيم الإلهية والعدالة، وأن دمج السلطة بالولاية هو السبيل لضمان الاستقامة والعدالة في الحكم والعمل.

الكلمات المفتاحية: السلطة، الولاية، الشرائع السماوية

Authority and Guardianship in Three Divine Religions

Asst. Prof. Dr. Mohammed Ali Qasim Al-Saadi

Ministry of Education – Directorate of Education, Baghdad Al-Rusafa First

Albahadli74@gmail.com

Abstract

This research explores the concepts of authority and guardianship (wilayah) from both linguistic and terminological perspectives, drawing upon religious sources in the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah. It traces the relationship between these two concepts within Islamic thought and sheds light on their application in work and administration. The study also examines how these concepts are addressed in the three Abrahamic religions (Judaism, Christianity, and Islam). The research concludes by highlighting the importance and objectives of guardianship in building a just society and establishing the principles of sound leadership. It ultimately finds that authority derives its legitimacy only through legitimate guardianship rooted in divine values and justice, and that the integration of authority with guardianship is essential to ensuring righteousness and fairness in governance and professional practice.

***Keywords**: authority, guardianship, divine laws (scriptures)*

المقدمة

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة ٣٠)

ان الولاية وجدت بوجود الإنسان على ظهر الأرض، لأنه – في الحقيقة – محتاج إلى من يلبي حاجاته، ويقضي رغباته، حيث لا يمكنه الحصول على حاجاته من الغذاء والكساء والأمن إلا بالاجتماع والتعاون مع بني جنسه.

فالولاية – إذاً – لصيقة بالإنسان التصاقاً محكماً، لأنها حاجة فطرية فطر الله النفس البشرية عليها، إذ نرى في واقع الحياة الاختلاف الكبير بين الناس في طبائعهم وسجاياهم وأخلاقهم، فبينما يجد الناظر فئة من الناس تميل إلى القيام على غيرها – لتوجيه سلوكها، وضبط تصرفاتها – يجد بالمقابل فئة أخرى تخضع للتبعية والرضا بالسير تحت إمرة غيرها، وبينما هو يصرف نظره إلى أناس ينزعون إلى حب السيطرة والتغلب على غيرهم، يرى آخرين قد رضوا واطمأنوا بسياسة وقيادة غيرهم، ومع هذا فقد تجتمع هذه الصفات، وهذه الفروق البشرية في شخص واحد أيضاً، لذا كانت الولاية بمعناها العام قديمة قدم الإنسان، فالأسرة والقبيلة والأمة تجمع من الأصناف السابقة – ممن تتباين فيهم تلك الخلال، وتختلف فيهم تلك الصفات – أعداداً لا تحصى، مما يتحتم معه وجوب إقامة الولي، الذي يقوم بدور المحافظة على شؤون من يحتاج إلى رعاية وتربية وتوجيه، سواء أكان هذا الولي عاماً أم خاصاً، إذ أنه من المسلَّمات الضرورية أن كل تجمع بشري يحتاج إلى مسؤول يدير دفة القيادة فيه، بل إن الناظر إلى حياة أمم المخلوقات عامة، يجد أن لها مَنْ يقودها ويتقدمها، فالطيور المهاجرة فيها قائد يقودها والنحل له ملكة واحدة في خليته تدبر شؤونه، وتوجه نشاطه، بحيث يعرف كل فرد مسؤوليته وما له وما عليه.

يقول ابن خلدون «وقد يوجد في بعض الحيوانات العُجْم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرئ فيها من الحُكْم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خَلْقه وجثمانه، إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة (ابن خلدون، ١٩٨١ م:٤٨)

فإذا كان هذا في الحيوان الأعجم، فكيف بهذا المخلوق المكرم، الذي أعطاه الله أنواع الهداية، ونور العقل، وآلات المعرفة والعلم، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ؟

وبالنظر – بعين البصيرة – إلى واقع النمو البشري يتأكد مفهوم الولاية، وضرورة وجودها لتوقف تحقيق جلب المصالح ودرء المفاسد عليها.

والإسلام هو الدين الكامل، الذي شرعه اللطيف الخبير – الذي بيَّن فيه جميع ما يحتاجه البشر، حتى آداب قضاء الحاجة – بيَّن لنا أمر الولاية، وأحكامها،

وقواعدها وما يتعلق بها، فلا يتصور أن يَـتْرك أمر الولاية – وهي بالأهمية الكبرى بالنسبة للفرد والجماعة على السواء – دون بيان أو إيضاح.

المبحث الأول

السلطة

المطلب الأول: السلطة لغةً

تُشتقّ كلمة «السلطة» من الجذر (سَلَطَ)، ويُقال: «سَلَطَه على القوم»، أي جعله متمكنًا منهم، أو مكّنه من التصرف فيهم. وتدلّ المعاني اللغوية على القوة، والغلبة، والنفوذ، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ (مريم ٢٢)، أي لستُ بمتسلّطٍ عليكم ولا بذي قدرة.

وقد ورد في لسان العرب أن «السلطان» هو الحُجة والبرهان، وأيضًا القوة والنفوذ(ابن منظور، لسان العرب، ١٤١٤ هـ، ج٦: ٣٤٥ – ٣٤٦)

المطلب الثاني: السلطة اصطلاحًا

تُعرف السلطة في الاصطلاح بأنها: «القدرة المشروعة التي تُمكّن شخصًا أو جهةً من إصدار الأوامر واتخاذ القرارات الملزمة ضمن نطاق محدد» (الخالدي عبد العزيز، ٢٠٠٨م: ٢٥).

ويرى علماء الاجتماع والسياسة أن السلطة تمثل جوهر التنظيم الاجتماعي، إذ لا يمكن وجود جماعة من دون سلطة تنظم العلاقة بين أفرادها.

أما في الفكر الإداري، فقد عرّفها ماكس فيبر بأنها: «الحق في إصدار الأوامر وتوقع الطاعة»، وقد ميّز بين ثلاثة أنواع للسلطة: التقليدية، والعقلانية القانونية، والكارزمية (ماكس فيبر، ١٩٢٢م: ٥٣)

المطلب الثالث: السلطة في القرآن الكريم

القرآن الكريم استخدم مصطلح «السلطان» في عدة معانٍ، منها الحُجّة، ومنها النفوذ.

من الآيات الدالة على السلطة بمعنى الحجة:

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾(مريم: ٨٧)

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ . . . .وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (البروج: ٤ – ٨)

كما أشار إلى السلطة بمعنى التمكين والتصرف، كما في قوله تعالى على لسان إبليس:

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم: ٢٢)

وتُبيّن هذه الآيات أن السلطة إما أن تكون ربانية مشروعة، أو مدّعاة باطلة إذا لم تستند إلى الحجة.

المطلب الرابع: السلطة في السنة المطهّرة

جاء في السنة النبوية إشارات متعددة إلى طبيعة السلطة وضوابطها. منها قول النبي ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٢: ٨٨٠)، وهو يدلّ على أن كل من يُعطى سلطة، يُكلّف بمسؤولية أمام الله والناس.

كما ورد عنه ﷺ: «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة» (المسند، ٢٠٠١م، ج ٣: ٨٠)

وهو تحذير من إساءة استخدام السلطة أو التهاون في أداء واجباتها.

وتشير هذه الأحاديث إلى أن السلطة في الإسلام ليست وسيلة تسلّط، بل أمانة ومسؤولية تحكمها الشريعة والعدل والمحاسبة.

الملاحظات على السلطة

١. السلطة لا تكتسب مشروعيتها من ذاتها، بل من رضا المجتمع أو من الشرع في المجتمعات الدينية.

٢. السلطة المنفصلة عن القيم والمبادئ تتحول إلى استبداد.

٣. لا يكفي امتلاك السلطة، بل ينبغي أن تُمارَس ضمن ولاية شرعية.

المبحث الثاني

الولاية

المطلب الأول: الولاية لغةً

تعود جذور مفهوم «الولاية» في اللغة العربية إلى مادة (وَلِيَ)، والتي تدلُّ على القرب والملاصقة. ويقال: «ولي فلان فلانًا»، أي اقترب منه وكان بجانبه، كما جاء في لسان العرب: «الولاية النصرة، والولاية الإمارة، والولي هو النصير» (ابن منظور، ١٤١٤ ه: ٢٨٢)، وتفيد «الولاية» في اللغة معنى التولي والتسلّط والقدرة على التصرّف في شؤون الغير، سواء بوصاية أو بحق شرعي أو اجتماعي.

المطلب الثاني: الولاية اصطلاحًا

عرّف الفقهاء والمفسرون الولاية بأنها: «القدرة المشروعة الممنوحة لفرد أو جهة، للتصرف في شؤون الآخرين بما فيه المصلحة، ضمن إطار محدد من الشريعة أو القانون» (الخوئي، ١٩٧٥: ٤٢)، وتتنوع الولاية في الفقه الإسلامي إلى ولاية عامة وولاية خاصة، وتشمل ولايات على النفس وولايات على المال. وهي ترتبط بمبدأ المسؤولية والتكليف، وتستلزم شروطًا مثل العدالة والكفاءة وحسن التدبير.

المطلب الثالث: الولاية في القرآن الكريم

وردت مفردة «الولاية» ومشتقاتها في مواضع عدّة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)

تدلّ الآية على أن الولاية الحقيقية إنما تكون لله، ثم للرسول، ثم لمن يتصف بالإيمان والعمل الصالح. وقد فسّر المفسرون هذه الآية بأنها تشير إلى الإمام علي عليه السلام في حادثة تصدّقه بالخاتم أثناء الركوع (الطبرسي، ١٩٩٥ م: ٣٦٣ - ٣٦٤)

كما ورد قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، وهو بيان لحقيقة التولية الإلهية التي تهدي وتسدد وتنقذ.

المطلب الرابع: الولاية في السنة المطهرة

جاء في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تؤكد على مفهوم الولاية ومكانتها. من أبرزها حديث الغدير:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (المسند، ٢٠٠١ م: ٢٨١) وهو من الأحاديث المتواترة التي رواها جمهور المحدثين.

ويُفهم من هذا الحديث أن الولاية ليست فقط محبة أو قربى، بل هي موقع قيادة وتكليف، وهي استمرار للولاية التشريعية والروحية للنبي ﷺ.

المطلب الخامس: العلاقة بين السلطة والولاية

يمكن القول إنّ العلاقة بين السلطة والولاية علاقة تداخل وتكامل. إذ تمثل السلطة الأداة التنفيذية للتصرف، بينما تمثل الولاية البُعد الشرعي والروحي الذي يضفي المشروعية على تلك السلطة.

فكل ولاية تتضمن سلطة، ولكن ليست كل سلطة بالضرورة تتضمن ولاية شرعية. ومتى ما انفصلت السلطة عن الولاية، وقعت في الاستبداد أو الفساد. أما إذا اجتمعتا في شخص يملك الكفاءة والعدالة والشرعية، تحققت العدالة وصيانة الحقوق.

المطلب السادس: تطبيقات السلطة والولاية في العمل

في بيئة العمل، تتجلّى الولاية والسلطة من خلال أنظمة التوظيف والإدارة التي تمنح لصاحب العمل حق اتخاذ القرار، وتكليف الموظفين، وإدارة الموارد.

فالرئيس المباشر مثلًا له «سلطة» تكليف مرؤوسيه بالمهام، لكن لا بد أن تكون هذه السلطة قائمة على «ولاية» معنوية ومهنية، مثل الخبرة والنزاهة والعدل في المعاملة، حتى تكون قراراته مقبولة وفاعلة.

وفي التشريع الإسلامي، فإن تصرفات ولي الأمر يجب أن تصبّ في مصلحة المجتمع، وإلا فسد مضمون السلطة وتحولت إلى تسلط

المبحث الثالث

السلطة والولاية في الأديان السماوية

تناولت الأديان السماوية مفهومَي السلطة والولاية بوصفهما عنصرين أساسين في تنظيم حياة الإنسان، وتحقيق العدالة، وضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين الفرد والمجتمع. وقد جاءت تلك المفاهيم بصيغ متعددة في اليهودية والنصرانية والإسلام، لكن المشترك بينها جميعًا هو تأكيد أن السلطة لا تُفهم إلا ضمن ولاية إلهية، تضبطها القيم الإلهية والمبادئ الأخلاقية.

المطلب الأول: السلطة والولاية في الديانة اليهودية

في العقيدة اليهودية، تُعتبر السلطة الإلهية المطلقة هي مصدر التشريع، حيث يُعد الله سبحانه وتعالى هو «ملك الملوك»، وهو الذي يُعطي السلطة لمن يشاء من عباده. وقد نصّ سفر التثنية على أن الملك لا يكون فوق الشريعة، بل يجب أن يقرأ كتاب التوراة ويعمل به:

«ويكون متى جلس على كرسي مملكته أن يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة... ويلتزم بها كل أيام حياته» (سفر التثنية، ١٧: ١٨)

أما الولاية، فتتجلّى في أن النبي أو الكاهن لا يتسلّط بذاته، بل يكون مكلّفًا من الرب، ووسيطًا بين الله والشعب، ولذلك فإن سلطة الأنبياء مثل موسى وهارون كانت نابعة من التكليف الإلهي، لا من رغبتهم الشخصية أو من اختيار الناس.

المطلب الثاني: السلطة والولاية في الديانة النصرانية

في المسيحية، تقوم السلطة على مبدأ الخدمة لا السيطرة، ويتجلى ذلك في قول السيد المسيح عليه السلام: «من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن خادمًا لكم» (متى ٢٠: ٢٦)

وقد رفض السيد المسيح استخدام السلطة الدنيوية لأغراض التسلّط، مؤكدًا أن ملكوته «ليس من هذا العالم»، كما في قوله:

«مملكتي ليست من هذا العالم» (يوحنا ١٨: ٣٦)

لكن رغم ذلك، أُقرّت في المسيحية سلطة الكنيسة على رعاياها، بوصفها ممثلاً للولاية الروحية، ويُنظر إلى البابا أو البطريرك على أنه خليفة المسيح في الأرض من جهة التوجيه والإرشاد، لا الحكم السياسي. وقد تشكل عبر التاريخ مفهوم «الولاية البابوية» بوصفها سلطة معنوية على الملوك والدول، خصوصًا في أوروبا القرون الوسطى.

المطلب الثالث: السلطة والولاية في الإسلام

تميّز الإسلام برؤية متكاملة تجمع بين السلطة والولاية في نظام واحد، فالسلطة في الإسلام ليست مطلقة، وإنما مقيدة بالشرع والعدل، ولا تكون مشروعة إلا إذا استندت إلى الولاية الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا . . .﴾ (المائدة: ٥٥)

ويُعدّ الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول من جسّد السلطة المقيدة بالولاية، حيث جمع بين النبوة والحكم، وأرسى مبادئ الحكم الراشد القائم على الشورى والعدل والتكليف. وبعده، انتقلت الولاية إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام حسب الرؤية الإمامية، فهم أولى بالتصرف في شؤون الأمة بعد النبي، لعلمهم، وعدالتهم، وتكليفهم الإلهي.

كما أن الإمام علي عليه السلام أوضح في خطبه أن السلطة تكليف لا تشريف، فقال:

«لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يُقارّوا على كِظَّةِ ظالمٍ ولا سَغَبِ مظلوم...» (الشريف الرضي، ١٩٩٩ م:١٠٢)

وبذلك فإن الإسلام دمج بين السلطة التنفيذية والولاية الشرعية، وجعل من الحكم وسيلةً لإقامة القسط، لا غاية بحد ذاتها.

المبحث الرابع

الآثار التطبيقية للسلطة والولاية عمليا

المطلب الأول: أثر السلطة في تنظيم العمل

تؤدي السلطة دورًا حيويًا في تنظيم العلاقة بين عناصر العمل المختلفة من إدارة، وموارد بشرية، وهيكل تنظيمي. فبدون السلطة، تفقد المؤسسات القدرة على اتخاذ القرار وتوزيع المسؤوليات. كما تُسهِم السلطة في ضبط سلوك العاملين، وحفظ النظام الإداري، وتحديد التسلسل القيادي داخل المنظومة الوظيفية.

وفي هذا السياق، يرى «فايول» Henri Fayol في نظريته الإدارية أن السلطة لا تنفصل عن المسؤولية، فكلما أُعطي الموظف سلطة، كان لا بد أن يتحمل ما يقابلها من مسؤولية (Fayol ,1916، pa 68- 75)

المطلب الثاني: أثر الولاية في ترسيخ العدالة المهنية

تشكّل الولاية بعدًا أخلاقيًا وقيميًا في مجال العمل، إذ تجعل من الوظيفة تكليفًا لا تشريفًا، وترتبط بالرقابة الذاتية والتقوى والمحاسبة أمام الله قبل الناس.

فعندما يُنظَر إلى المسؤول على أنه «وليّ» على عمله وعلى موظفيه، تتغير طبيعة العلاقة من التسلط إلى الرعاية، ومن الإكراه إلى التعاون.

وقد رُوي عن الإمام علي عليه السلام:

«إن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة» (نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، وهو بيان دقيق يوضح أن الولاية في مواقع العمل مسؤولية عظيمة تتطلب العدل والإنصاف).

المطلب الثالث: تكامل الولاية والسلطة في الإدارة الإسلامية

النموذج الإداري الإسلامي لا يفصل بين السلطة والولاية، بل يربط بينهما ضمن إطار الشريعة والعدالة.

فالحاكم أو المدير أو المسؤول يُفترض فيه أن يملك السلطة (التنفيذ) والولاية (المشروعية والعدالة)، وإذا فُقد أحد العنصرين، اختلّ التوازن الإداري.

وقد ظهر هذا التكامل بوضوح في عهد رسول الله الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، إذ كانت قراراتهم نافذة بالسلطة، عادلة بالولاية، رحيمة بالناس، قائمة على خدمة الصالح العام.

المبحث الخامس

أهمية وأهداف الولاية

تمثل الولاية في التصور الإسلامي مبدأً أساسيًا في بناء المجتمع وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين الإنسان وربّه، وكذلك بين أفراد الأمة. فالولاية ليست مجرّد سلطة إدارية أو سياسية، بل هي إطار شامل للتكليف والقيادة والتوجيه وفقًا لما شرّعه الله عزّ وجل. ومن هنا، تتجلى أهمية الولاية في أبعادها الدينية

والاجتماعية والسياسية، وتظهر أهدافها في ما تحققه من عدالة وصيانة للحقوق واستقامة في نظام الحياة.

المطلب الأول: أهمية الولاية في الشريعة الإسلامية

١. الولاية ضمان لحفظ الدين

إن من أعظم ما تُحققه الولاية هو صيانة الشريعة من التحريف والضياع، فهي القيادة التي تحفظ أحكام الدين وتُطبّقها. ومن دونها، تبقى النصوص معطّلة، والشريعة مُعرّضة للاجتهادات المتضاربة والسلطة المنفلتة. قال تعالى:

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . .﴾ (المائدة: ٥٥)

وفي هذا بيان واضح أن الولاية مرتبطة مباشرة بتثبيت معالم الدين وتنفيذ أحكامه.

٢. الولاية تحقّق العدالة الاجتماعية

الولي العادل هو من يُقيم بين الناس بالقسط، ولا يفرّق بين غني وفقير أو قوي وضعيف. فالولاية العادلة هي الضمانة الأولى لمنع الظلم ورفع الجور، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن الناس لا يصلحهم إلا أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر» (الشريف الرضي، ١٩٩٩م: ١٥٠)

وذلك في إشارة إلى أن وجود الولي ضروري لتحقيق التوازن الاجتماعي، حتى في أحلك الظروف.

٣. الولاية تُنظّم شؤون الأمة

من دون ولاية، تصبح الأمة فوضى، لا نظام فيها ولا مرجعية. فوجود الولي يعني وجود قائد يُرجع إليه في الأزمات، وتُردّ إليه الأحكام، ويُحسم عبره النزاع. ولهذا كان الإمام المعصوم عند الشيعة هو المرجعية الإلهية الدائمة، ثم تتابعت المرجعيات الفقهية وفقًا لمبدأ «نيابة الفقيه الجامع للشرائط» في زمن الغيبة الكبرى(النائيني، ٢٠١٢م:٩١)

المطلب الثاني: أهداف الولاية في النظام الإسلامي

١. تحقيق الخلافة الإلهية في الأرض

الولاية امتداد لمفهوم الخلافة التي ذكرها القرآن في قوله تعالى:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة ٣٠)، فالإنسان المكلّف بوظيفة الاستخلاف لا يستطيع أداء مهامه إلا ضمن ولاية شرعية تقوده وتوجّهه. ولهذا، كانت الولاية الإلهية تُرسّخ معنى الاستخلاف القائم على العدل والرحمة.

٢. صيانة وحدة الأمة

من أهداف الولاية الحفاظ على تماسك المجتمع ومنع التشرذم، فالولي الجامع لشروط القيادة يُوَحِّد الناس حوله، ويُجنّب الأمة خطر التفرّق والانقسام. وقد كانت أزمة السقيفة مثالًا حيًّا على ما ينتج عن

غياب ولاية منصوصة، إذ أدّى ذلك إلى انقسام سياسي ومذهبي عميق امتدّ لقرون.

٣. تحقيق السيادة الإلهية في الحكم

الولاية ليست فقط لحماية الدين، بل لتمكين السيادة الإلهية على الأرض. فالإسلام لا يفصل بين الدين والدولة، والولي هو من يُطبّق أحكام الله، لا هواه، قال تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة ٤٤)

وفي هذا تشديد على أن الحاكمية لله، وأن كل حكم لا يصدر عن ولايته تعالى هو حكم مرفوض.

٤. بناء الإنسان الصالح

الولاية تُربّي الناس على طاعة الله، وتُوجّههم نحو الكمال الإنساني، من خلال القدوة العملية في شخص الولي، فالولاية ليست سلطة فوقية، بل علاقة تربوية وأخلاقية تُنمّي في الإنسان الإيمان والانضباط، كما كان رسول الله الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأصحابه:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب ٦)

أي هو الراعي لهم، لا المتسلّط عليهم، والموجّه لهم نحو النجاة.

أهم النتائج

(١) الولاية والسلطة مفهومان متكاملان، لا يمكن الفصل بينهما دون خلل في الأداء أو انحراف في الهدف.

(٢) السلطة تحتاج إلى ضوابط شرعية وقيمية، وهي ما توفره الولاية في الإسلام.

(٣) التطبيق السليم للسلطة والولاية ينعكس إيجابيًا على مستوى الأداء المؤسسي والعدالة الاجتماعية.

(٤) السلطة في الأديان السماوية جميعًا ترتبط بمفهوم التكليف الإلهي، ولا تُمنح باعتبارات دنيوية فقط.

(٥) الولاية تعني الرعاية والمسؤولية الروحية، وهي فوق السلطة السياسية في الترتيب الشرعي.

(٦) الإسلام كان أكثر الأديان وضوحًا في الدمج بين الولاية والسلطة، وجعل الحكم خاضعًا للشريعة الإلهية.

(٧) التشابه بين الأديان السماوية يظهر في تحذيرها من الاستبداد، وتأكيدها على العدل والخدمة.

(٨) الولاية ليست وظيفة إدارية، بل مبدأ ربّاني يحقق التوازن بين السلطة والمبدأ.

(٩) أهمية الولاية تكمن في قدرتها على حفظ الدين وتنظيم الحياة وفق الشريعة.

(١٠) أهداف الولاية تتعدى الحكم السياسي، إلى بناء الإنسان والمجتمع على أسس العدل والتوحيد.

(١١) غياب الولاية يُعرّض الأمة للانقسام وفقدان البوصلة الشرعية في إدارة شؤونها.

الخاتمة

بعد هذا العرض، يتضح أن السلطة تمثل الجانب التنفيذي والإداري في العمل، بينما الولاية تمثل الغطاء الشرعي والقيمي الذي يمنح للسلطة مشروعيتها ويمنع انحرافها.

وإذا كانت السلطة ضرورية لتنظيم العمل وحفظ النظام، فإن الولاية ضرورية لتقويم تلك السلطة، وضمان عدالتها، وجعلها وسيلة لخدمة الإنسان، لا لإذلاله.

إن جمع هذين المفهومين في ميدان العمل يسهم في بناء بيئة مؤسسية تقوم على النظام والعدالة، وتُحترم فيها الحقوق، وتُراعى فيها القيم، وتتحقق بها التنمية الشاملة في ضوء مبادئ الإسلام وتعاليمه.

المصادر

القرآن الكريم

(١) البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ج ٢، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الاعلمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥ م.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، دار الجبل، بيروت – بنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، دار صادر، بيروت– لبنان، ١٤١٤ هـ

(٥) نظرية السلطة في الفكر السياسي الإسلامي، الخالدي عبد العزيز، ط ١، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٨م

(٦) ماكس فيبر، ١٩٢٢م.

(٧) الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى، المجلد ١، دار احياء المعارف – النجف

(٨) ابن حنبل، المسند، تحقيق (شعيب الأرناؤوط)، (عادل مرشد) وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م

(٩) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الاصحاح ١٧، الاية ١٨، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣

(١٠) الكتاب المقدس، انجيل متى، الاصحاح ٢٠، الاية ٢٦، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣

(١١) الكتاب المقدس، انجيل يوحنا، الاصحاح ١٨، الاية ٣٦، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٩٣

(١٢) الكتاب المقدس، دت، ترجمة فاندايك، سفر التثنية، جمعية الكتاب المقدس، بيروت

(١٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، دار الكتاب العربي، ١٩٩٩

(١٤) Fayol,H.(1916) administration industrielle et yenerale. paris France: dunod et pinat

(١٥) النائيني، تنبيه الامة وتنزيه الملة، تحقيق محمد علي رضا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٢